القسم الثالث

القول في

آداب الصحبة

obeikandl.com

obeikandl.com

آداب الصحبة مع الله تعالى

اعلم أن صاحبك الذي لا يفارقك في حضرك وسفرك ونومك ويقظتك ، بل في حياتك وموتك ، هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ، ومهما ذكرته فهو معك ، إذ قال الله تعالى: **"أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه"**[1] ، ومهما انكسر قلبك حزنًا على تقصيرك في حق دينك فهو موفقك ومعينك ، فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحبًا وتركت الناس جانبًا ، فإن لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك فإياك أن تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك ، وتتلذذ معه بمناجاتك له ، وعند ذلك ينبغي لك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى.

وآدابها : غض الطرف ، وجمع الهم ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهي ، وقلة الاعتراض على القدر ، ودوام الذكر ، وملازمة الفكر ، وإيثار الحق على الباطل ، والإياس عن الخلق ، والخضوع تحت الهيبة ، والانكسار تحت الحياء ، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان ، والتوكل على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار.

وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك ، فإنها آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك ، والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك.

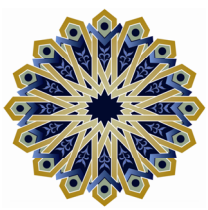

(1) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم في [**كتاب التوحيد-باب قول الله تعالى: "لا تحرك به لسانك"**] ، ووصله الإمام أحمد (2/ 540) ، وابن ماجة (3792) ، وصححه ابن حبان (815) .

آداب العالِم

وإن كنت عالمًا فآداب العالم: سعة الاحتمال، ولزوم الحلم، والجلوس بالهيبة على سمت الوقار، مع ترك التكبر على جميع العباد إلا على الظلمة زجرًا لهم عن الظلم ، وإيثار التواضع في المحافل والمجالس ، وترك الهزل والدعابة ، والرفق بالمتعلم ، والتأني بالمتعجرف ، وإصلاح البليد بحسن الإرشاد ، وترك الحَرَد[1] عليه ، وترك الأنفة من قول: لا أدري ، وصرف الهمة إلى السائل وتفهم سؤاله ، وقبول الحجة والانقياد للحق ، والرجوع إليه عند الهفوة ، ومنع المتعلم عن كل علم يضره ، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى ، وصد المتعلم عن أن يشتغل

بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين ـ وفرض عينه: إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ـ ، ومؤاخذه نفسه أولاً بالتقوى ؛ ليقتدي المتعلم أولاً بأعماله ، ويستفيد ثانيًا من أقواله.

(1) **الحرد: الغضب** . **يقال:** حَرَدَ يَحْرِدُ حُرُوداً . وهو حَرِدٌ ، وحارِدٌ ، وحَرْدَانُ .

آداب المتعلـــم

وإن كنت متعلمًا فآداب المتعلم مع العالم: أن يبـدأه بالتحيـة والـسلام ، وأن يقلل بين يديه الكلام ، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه ، ولا يسأل ما لم يستأذن أولاً، ولا يقول في معارضة قوله: قال فلان بخلاف ما قلت، ولا يـشير عليـه بخـلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه، ولا يسأل جليسه في مجلسه ، ولا يلتفت إلى الجوانب ، بل يجلس مطرقًا ساكنًا متأدبًا ، ولا يكثر عليه السؤال عنـد مللـه ، وإذا قام قام له ، ولا يتبعه بكلامه وسؤاله ، ولا يسيء الظن به . واعلم أن المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب الزلات ، وكان بعض الـسلف يتـصدق وهـو في طرقه لمجلس العلم ويدعو قائلاً: **" اللهم وار عني عيب شيخي "**.

ورُوي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : **" من حق العالم عليك أن تُسلم عـلى النَّاس عامة، وتخصّه دونهم بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تُشيرن عنده بيدك، ولا تغمزنَّ بعينيك، ولا تقولنَّ : قال فلان خلافًا لقوله، ولا تغتابنَّ عنـده أحـد، ولا تسارر في مجلسه، ولا تأخذن بثوبه، ولا تُلح عليه إذا كـسل، ولا تُعـرض ــ أي: تشبع ــ من طول صُحبته ، ولا ترفع نفسك عن خدمته، وإذا عرضت لـه حاجـة سبقت القوم إليها، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شئ "** .

وعلى طالب العلم أن يتحلى بالوفاء ؛ فإنه من أجل خصال النبلاء ، وليعلم أن **" حسن العهد من الإيمان "** [1] ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل .

(1) حديث حسن: أخرجه الحاكم (رحمه الله) في **"المستدرك"** (1/ 15-16) بسند حسن من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ! ، ووافقـه الذهبي ، ورمز له السيوطي بالصحة في **"الجامع الـصغير"** (2264) ، وانظـر **"الـصحيحة"** للألباني (216) .

آداب الولد مع الوالدين

وإن كان لك والدان فآداب الولد مع الوالدين: أن يسمع كلامهما ، ويقوم لقيامهما ، ويمتثل لأمرهما ، ولا يمشي أمامهما ، ولا يرفع صوته فوق أصواتهما ، ويلبي دعوتهما ، ويحرص على مرضاتهما ، ويخفض لهما جناح الذل ، ولا يمن عليهما بالبر لهما ، ولا بالقيام لأمرهما ، ولا ينظر إليهما شزرًا[1] ، ولا يقطب وجهه في وجههما ، ولا يسافر إلا بإذنهما.

واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقك ثلاثة أصناف: إما أصدقاء ، وإما معاريف ، وإما مجاهيل.

(1) **النظر الشزر**: هو نظر الغضبان بمؤخر العين .

oberikandl.com

آداب العلاقة بالعوام المجهولين

فإن بليت بالعوام المجهولين فآداب مجالستهم: تـرك الخـوض في حـديثهم ، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم ، والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم ، والاحـتراز عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم ، والتنبيه على منكراتهم باللطف ، والنـصح عنـد رجال القبول منهم ، واستعذ بالله دائماً من صحبة البطالين .

obeikandl.com

آداب العلاقة بالإخوان والأصدقاء

وأما الإخوان والأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان:

الوظيفة الأولى: مراعاة شروط الصحبة

فينبغي أن تطلب أولاً شروط الصحبة والصداقة ، فلا تؤاخ إلا من يصلح للإخوة والصداقة ، وقد قال رسول الله ﷺ : **" الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل "** [1] .

فإذا طلبت رفيقًا ليكون شريكك في التعلم ، وصاحبك في أمر دينك ودنياك ، فراعِ فيه ستَ خصال [2] :

الأولى: العقل :

فلا خير في صحبة الأحمق ، فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها ، وأحسن أحواله أن يضرك

وهو يريد أن ينفعك ، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه **:**

فَلا تَصحَب أَخا الجَهلِ ... وَإِيـــاكَ وَإِيـــاهُ
فَكَم مِن جاهِـلٍ أَردى ... حَليماً حِينَ آخــاهُ
يُقاسُ المَرءُ بِالمَـــــرءِ ... إِذا ما المَرءُ ماشــاهُ
كَحَذو النعلِ بِالنَعــلِ ... إِذا ما النعل حاذاهُ
وَلِلشَيءِ مِنَ الشَـــــيءِ ... مَقايـيسٌ وَأَشبــاهُ
وَلِلقَلــــبِ عَلى القَلــبِ ... دَليـلٌ حِينَ يَلقــاهُ

---

(1) رواه الإمام أحمد (8015، 8398) ، وأبو داود (4833) ، والترمذي (2378) وحسنه ، وتبعه السيوطي رحمه الله فرمز لحسنه في "**الجامع الصغير**" (4516) ، وتعقبه شارحه بقوله : "هو أعلى من ذلك ؛ فقد قال النووي في "**رياضه**" (373): إسناده صحيح"! وفيه نظر ، فإن في الإسناد ضعفًا . لكن للحديث طريق أخرى حسنه بها الألباني في "**الصحيحة**" (927) .

(2) ذكر الإمام الغزالي (رحمه الله) خمسًا ، وزدت أنا "**الوفاء**" ، وقد ندر في زماننا جدًا ، حتى أصبح أعز من عنقاء مُغرب ، فقد مُحي هذا المصطلح من معجم كثير من الناس ، إلا مَن رحم ربك ، وقليل ما هم ، والله المستعان .

الثانية: حسن الخلق

فلا تصحب من ساء خلقه ، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة ، وقد جمعه علقمة العطاردي رحمه الله تعالى في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة ، فقال: **" يا بني! إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك مؤنة مانك .**

اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى منك سيئة سدها " .

وقال علي رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

الثالثة: الصلاح

فلا تصحب فاسقًا مصرًا على معصية كبيرة ؛ لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله ، بل يتغير بتغير الأحوال والأعراض ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:28].

فاحذر صحبة الفاسق؛ فإن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية، وتهون عليك أمرها ، ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لإلفهم لها ، ولو رأوا خاتمًا من ذهب أو ملبوسًا من حرير على فقيه لاشتد إنكارهم عليه! والغيبة أشد من ذلك.

الرابعة: ألا يكون حريصًا على الدنيا

فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل ؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء ، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري ، فمجالسه الحريص تزيد في حرصك ، ومجالسه الزاهد تزيد في زهدك.

الخامسة: الوفاء ، فلا خير في صحبة اللئيم ، وقد أجمع الحصفاء الألباء من بني آدم على أن الإحسان إلى اللئيم إساءة ، حتى قال سفيان الثوري (**رحمه الله**) : **"وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام" أخرجه أبو نعيم في "الحلية"** (6/ 367/ 9277) .

وعلى قدر إحسان المرء إلى اللئيم تكون إساءة اللئيم إليه .

كما قال معن بن أوس متوجعًا من لئيم :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني !
أعلمه الفتوة كل وقت فلما طر شاربه جفاني !!
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني !!!

ولله در أبي الطيب المتنبي إذ يقول:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعُلا مُضِرٌّ كوضع السيف في موضع النَّدَى

وفي بعض الشعر التركي أو الفرنسي الذي ترجمه أمير الشعراء أحمد شوقي:

إن كنتَ ذا فضل فكُـ ـنْهُ على ذكيٍّ أو كريم
فالفضلُ يَنْسَاهُ الغَـ ـبيُّ وليس يحفظه اللئيم

السادسة : الصدق

فلا تصحب كذابًا فإنك منه على غرور ، فإنه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب.

ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد ، فعليك بأحد أمرين: إما العزلة والانفراد ففيها سلامتك ، وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم .

وذلك بأن تعلم أن الإخوة ثلاثة:

1 - أخ لآخرتك: فلا تراع فيه إلا الدين.

2 - وأخ لدنياك: فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن.

3 – وأخ لتأنس به : فلا تراع فيه إلا السلامة من شره وفتنته وخبثه .

والناسَ ثلاثة:

أحدهم: مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه.

والآخر: مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت.

والثالث: مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ، ولكن العبد قد يُبتلى به ، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع ، فتجب مداراته إلى الخلاص منه ، وفي مشاهدته فائدة

عظيمة إن وفقت لها ، وهو: أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبحه فتجتنبه ، فالسعيد من وُعظ بغيره ، و" **المؤمن مرآة أخيه ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه** " [1] كما قال النبي ﷺ .

ويُروى أن نبي الله عيسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قيل له: مَن أدبك؟ فقال: " **ما أدبني أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته** " ، ولقد صدق على نبينا وعليه الصلاة والسلام . فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم ؛ لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين.

واعلم أنك إن طلبت منزهًا من كل عيب لم تجد ، ومَن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية ،

ويعجبني ما ورد في كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني (3/237) **عن الشاعر بَشَّار بن برد ، قال:**

إذا كنت في الأمور معاتبًا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبُهْ
فعش واحدًا أو صِلْ أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبُهْ
إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربُهْ ؟

الوظيفة الثانية: مراعاة حقوق الصحبة

فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة ، فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة ، وفي القيام بها آداب . وقد قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: "**مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى** " [2] .

---

(1) أخرجه البخاري في "**الأدب المفرد**" (239) ، وأبو داود (4918) وحسن إسناده الزين العراقي رحمه الله كما في "**فيض القدير**" (6/ 333) ، وحسنه أيضًا تلميذه الحافظ ابن حجر رحمه الله في "**بلوغ المرام**" (1432) .

(2) أورده الإمام الغزالي رحمه الله في الأصل وكذا في "**الإحياء**" جازمًا بنسبته إلى النبي ﷺ ! وقال الحافظ العراقي رحمه الله: "رواه السلمي في "**آداب الصحبة**" ، وأبو منصور الديلمي في "**مسند الفردوس**" من حديث أنس . وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب . وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من "**الحزبيات**" ا.هـ قلت: (**وائل**): وقد روى ابن المبارك في "**الزهد**" (874) بسند صحيح عن سليمان وهو ابن مهران الأعمش رحمه الله قال: " **مثل الذي يشكو إلى أخيه كمثل الذي يغسل إحدى يديه بالأخرى**" .

وقال ﷺ : " **ما تحاب اثنان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه** "[1].

وآداب الصحبة :

الإيثار بالمال ، فإن لم يكن هذا ، فبذل الفضل من المال عند الحاجة . والإعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير إحواج إلى التماس . وكتمان السر . وستر العيوب .

والسكوت على تبليغ ما يسوؤه من مذمة الناس إياه . وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه .

وحسن الإصغاء عند الحديث ، وترك المماراة فيه . وأن يدعوه بأحب أسمائه إليه . وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه إن لم يخش مفسدة . وأن يشكره على صنيعه في وجهه .

وأن يذب عنه في غيبته إذا تُعرِّض لعرضه كما يذب عن نفسه .

وأن ينصحه باللطف والتعريض إذا احتاج إليه . وأن يعفو عن زلته وهفوته ولا يعتب عليه .

وأن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته . وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته .

وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئًا من حاجاته . ويروح قلبه من مهماته .

---

(1) رواه أبو يعلى (6/ 3419) من حديث أنس بن مالك ﷺ وقال المنذري وتبعه الهيثمي (10/ 276): "**رواته رواة الصحيح إلا مبارك بن فضالة**" وهو صدوق يدلس وقد صرح بالتحديث كما عند البخاري في "**الأدب المفرد**" (544) ؛ فالإسناد حسن ، وصححه ابن حبان (566) واللفظ المزبور له ، والحاكم (7323) . وله شاهد من حديث أبي الدرداء ﷺ عزاه المنذري للطبراني وقال: "**إسناده جيد قوي**" . تنبيه: قال الشيخ الألباني رحمه الله وطيب ثراه في "الصحيحة" (450) بعد تخريجه للحديث وعزوه إياه لابن حبان وغيره : "**تنبيه**": جميع روايات الحديث بلفظ (**رجلان**) . وأما الغزالي فذكره في "**الإحياء**" (2/ 139) بلفظ (**اثنان**) . ولم أجده في شيء من هذه الروايات "اهـ . وأقول : اللفظ الذي ذكره الإمام الغزالي -رحمه الله- هو لفظ ابن حبان (566-إحسان) ، وبهذا اللفظ أورده الحافظ السيوطي في "**الجامع الصغير**" (7867) وعزاه للبخاري في "**الأدب المفرد**" ، وابن حبان ، والحاكم . ورمز لصحته . والله الموفق .

وأن يظهر الفرح بجميع ما يرتاح له من مسارِّه . والحزن على ما ينالـه مـن مكارهه .

وأن يضمر في قلبه مثل ما يظهره فيكون صادقًا في وده سرًا وعلانية . وأن يبدأه بالسلام عند إقباله . وأن يوسع له في المجلس . وأن يخـرج لـه مـن مكانـه . وأن يشيعه عند قيامه . وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه . ويترك المداخلة في كلامه .

وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يُعامَل به ، فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه فأخوته نفاق ، وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة ، واعلم أخيراً أن صديقك هـو من صدقك لا من صدَّقك .

فهذا أدبك في حق العوام المجهولين وفي حق الأصدقاء المؤاخين.

obeikandl.com

آداب العلاقة بالمعارف

وأما القسم الثالث وهم المعارف: فاحذر منهم فإنك لا تري الشر إلا ممن تعرفه أما الصديق فيعينك ، وأما المجهول فلا يتعرض لك ، وإنما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم.

فأقلل من المعارف ما قدرت ، فإذا بليت بهم في مدرسة أو مسجد أو جامع أو سوق أو بلد فيجب ألا تستصغر منهم أحدًا ، فإنك لا تدري لعله خير منك ، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك ؛ لأن الدنيا صغيرة عند الله تعالى صغير ما فيها ، ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى ، وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال به من دنياهم ، فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم ثم حُرِمَ ما عندهم.

وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة ؛ فإنك لا تطيق الصبر على مكافأتهم فيذهب دينك في عداوتهم ، ويطول عناؤك معهم ، ولا تسكن إليهم في حال إكرامهم إياك وثنائهم عليك في وجهك

وإظهارهم المودة لك ، فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة واحداً ، ولا تطمع أن يكونوا لك في السر والعلن واحدًا . ولا تتعجب إن ثلبوك في غيبتك ، ولا تغضب منه ؛ فإنك إن أنصفت وجدت من نفسك مثل ذلك حتى في أصدقائك وأقاربك ، بل في أستاذك ووالديك . فإنك تذكرهم في الغيبة بما لا تشافههم به . فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم ؛ فإن الطامع في الأكثر خائب في المال ، وهو ذليل لا محالة في الحال.

وإذا سألت واحدًا حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى واشكره ، وإن قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصير عدواة له ، وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب . وقل: لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه .

ولا تعظن أحدًا منهم ما لم تتوسم فيه أولاً مخايل القبول ، وإلا لم يستمع منك وصار خصمًا عليك ، وإذا أخطئوا في مسألة وكانوا يأنفون من التعلم منك

فلا تعلمهم ، فإنهم يستفيدون منك علمًا ويصبحون لك أعداء ، إلا إذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل منهم ، فاذكر الحق بلطف من غير عنف.

وإذا رأيت منهم كرامة وخيرًا فاشكر الله الذي حببك إليهم . وإذا رأيت منهم شرًا فكلهم إلى الله تعالى واستعذ بالله من شرهم ، ولا تعاتبهم ، ولا تقل لهم: لِمَ لَمْ تعرفوا حقي وأنا فلان بن فلان وأنا الفاضل في العلوم ؟! فإن ذلك من كلام الحمقى ، وأشد الناس حماقة من يزكي نفسه ويثني عليها.

واعلم أن الله تعالى لا يسلطهم عليك إلا بذنب سبق منك ، فاستغفر الله من ذنبك ، واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى.

وكن فيما بينهم سميعًا لحقهم ، أصم عن باطلهم ، نطوقًا بمحاسنهم ، صموتًا عن مساويهم ، واحذر مخالطة متفقهة الزمان ، لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدال.

واحذر منهم ؛ فإنهم يتربصون بك ـ لحسدهم ـ ريب المنون ، ويقطعون عليك بالظنون ، ويتغامزون وراءك بالعيون ، ويحصون عليك عثراتك في عشرتهم حتى يجبهوك بها في حال غيظهم ومناظرتهم ، لا يقيلون لك عثرة ، ولا يغفرون لك زلة ، ولا يسترون لك عورة . يحاسبونك على النقير والقطمير ، ويحسدونك على القليل والكثير ، ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان . إن رضوا فظاهرهم الملق ، وإن سخطوا فباطنهم الحنق ، ظاهرهم ثياب ، وباطنهم ذئاب .

هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى . فصحبتهم خسران ، ومعاشرتهم خذلان .

هذا حكم من يظهر لك الصداقة ، فكيف من يجاهرك بالعداوة ؟!.

قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى:

فاحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

وكذلك قال أبو تمام:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أَكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وكن كما قال هلال بن العلاء الرقى:

إني أحيي عدوي عند رؤيته لأَدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأن قد ملا قلبي محبات
ولست أسلم ممن لست أعرفه فكيف أسلم من أهل المودات
الناس داء دواء الناس تركهم وفي الجفاء لهم قطع الأَخوات
فسالم الناس تسلم من غوائلهم وكن حريصاً على كسب التقيات
وخالق الناس واصبر ما بليت بهم أصم أبكم أعمى ذا تقيات

وكن أيضا كما قال بعض الحكماء: " الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة لهما ، ولا هيبة منهما . وتوقر من غير كبر . وتواضع من غير مذلة . وكن في جميع أمورك في أوسطها ، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم " .

كما قيل:

عليك بأَوساط الأَمور فإنها طريق إلى نهج الصراط قويم
ولا تك فيها مفرطًا أو مفرطًا فإن كلا طرفي الأمور ذميم

واعلم أن العاقل هو الفطن المتغافل ، كذا قال الإمام الشافعي (رحمه الله) ، ولله در من قال:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

ولقد صدق الأصمعي حين قال:

وما شيء أحب إلى لئيم إذا شتم الكريم من الجواب
متاركة اللئيم بلا جواب أشد على اللئيم من السباب

وكان الإمام سليمان بن مهران الأعمش يقول:

" جواب الأحمق السكوت . والتغافل يطفىء شرًّا كثيرًا . ورضا المتجني غاية لا تدرك . والاستعطاف عون للظفر . ومَن غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه " .

ومِن أجمل ما قرأت:

لـــن يبلـــغ المجدَ أقـــوام وإن شـرفوا ... حتـــى يَذِلـوا وإن عـزوا لأقـوام

ويشتمـــــوا فتـرى الألوان مسفـــرة ... لا صفح ذل ولكن صفـــح إكرام

وأنشد الإمام الشافعي (رحمه الله) :

قالوا سكتَّ وقد خوصمت قلت لهم : ... إن الجـواب لباب الشـر مفتـاح

فالعفـو عـــن جاهـــل أو أحمـق أدب ... نعم وفيه لصون العرض إصلاح

إن الأسود لتُخشى وهـــي صـامتـــة ... والكلـب يحثى ويرمى وهو نبـاح

ولا تنسَ وصية ربك (تبارك وتعالى) : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصِّلَت:34].

وما أجمل قول بعض الشعراء الذي ذكره ابن قتيبة (رحمه الله) في "عيون الأخبار":

إنَّ الهـديةَ حُـلْـــوةٌ ... كالسِّحر تَجْتَلِبُ القلوبا

تُدْنِي البغيضَ من الهوى ... حتـــى تُصَيِّرَهُ قريبـــا

وتُعِيـدُ مُضطغِنَ العَـدَا ... وَةِ بعـد نُفْرَتِهِ حبيبـــا

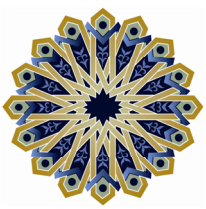

آداب عامة جامعة

ولا تنظر في عطفيك ، ولا تكثر إلى وراءك الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، واحذر كثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس في الصلاة وغيرها . وليكن مجلسك هادئًا ، وحديثك منظومًا مرتبًا . وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط . ولا تسأله إعادته . واسكت عن المضاحك والحكايات. ولا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر ما يخصك . ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين . ولا تتبذل تبذل العبد . وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن . ولا تلح في الحاجات . ولا تشجع أحداً على الظلم. ولا تُعلم أحدًا من أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك . واجفهم من غير عنف . ولِن لهم من غير ضعف . وإذا خاصمت فتوقر . وتحفظ من جهلك وعجلتك . وتفكر في حُجتك . ولا تكثر الإشارة بيدك . وإذا هدأ غضبك فتكلم. وإذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان . وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ، ولا يجعل مالك أكرم من عرضك . واعلم أن من استوى يوماه فهو مغبون .

وأخيرًا أتحفك بهذه الوصية الغالية ، فعض عليها بالنواجذ . وقد رواها الإمام أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه "**الزهد الكبير**" من طريق طاهر بن الفضل بن سعيد الغني قال: سمعت سفيان ابن عيينة رحمه الله يقول: لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي:

"يا بني! قد انقطعت عنك شرائع الصبا . فاختلط بالخير تكن من أهله . ولا تزايله فتبين منه . ولا يغرنك من مدحك بما تعلم أنت خلافه منك ؛ فإنه ما من أحد يقول في أحد من الخير ما لم يعلم منه إذا رضي، إلا قال فيه من الشر على قدر ما مدحه إذا سخط .

واستأنس بالوحدة من جلساء السوء . ولا تنقل أحسن ظني بك إلى أسوأ ظني بمن هو دونك .

واعلم أنه لن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم .

فأطعهم تسعد ، واخدمهم تقتبس من علمهم " .

قال سفيان: فجعلت وصية أبي هذه قبلة أميل إليها ولا أميل عنها ولا أعدل عنها [1] .

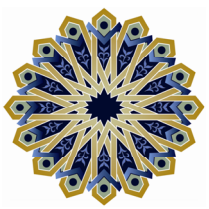

(1) وهذه الوصية رواها أيضًا الحافظ ابن أبي الدنيا (**رحمه الله**) في كتاب "**العيال**" (357) وغيره . وقد خرجتها في كتابي"**وصايا الآباء للأبناء**" .

obeikandl.com

الخاتمة
نسأل الله حسنها

فهذا القدر يكفيك من بداية الهداية ، فجرب بها نفسك ، فإنها ثلاثة أقسام:

1 – قسم في آداب الطاعات.

2 – وقسم في ترك المعاصي.

3 – وقسم في مخالطة الخلق.

وهي جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق والخلق ، فإن رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت قلبك مائلاً إليها راغبًا في العمل بها ، فاعلم أنك عبد نوَّر الله تعالى بالإيمان قلبه ، وشرح به صدره ، وتحقق أن لهذه البداية نهاية ، ووراءها أسرارًا .

وإن رأيت نفسك تستثقل العمل بهذه الوظائف وتنكر هذا الفن من العلم وتقول لك نفسك: أنى ينفعك هذا العلم في محافل العلماء ؟ ومتى يقدمك هذا على الأقران والنظراء ؟ وكيف يرفع منصبك في مجالس الأمراء والوزراء ؟ وكيف يوصلك إلى الصلة والأرزاق وولاية الأوقاف والقضاء ؟! ؛ فاعلم أن الشيطان قد أغواك ، وأنساك متقلبك ومثواك ، فابك على نفسك ، واسع في علاجها.

ثم اعلم أنه قط لا يصفو لك الملك في محلتك ، فضلاً عن قريتك وبلدتك ، ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين.

وأختم هذا الكتاب بما رواه الإمام أبو نعيم (**رحمه الله**) في "**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**" [(ج1/ ص49) رقم (135) ط/ مكتبة الإيمان] ، والحافظ ابن أبي الدنيا (**رحمه الله**) في كتاب "**محاسبة النفس**" (2) بسند حسن عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "**حاسبوا أنفسكم قبل**

أن تُحَاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا ؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:18] ".

تمت

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتطيب الأوقات ،،،

وخطه بيمينه
أبو عبد الرحمن البحيري
وائل بن حافظ بن خلف
غفر الله له ولوالديه
وأحسن إليهما وإليه

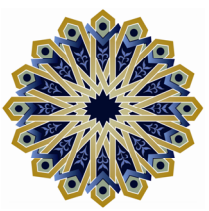

obeikandl.com